

أهم مصادر الشعر الجاهلي

رأينا علماء البصرة والكوفة ورواتهم يجمعون مادة الشعر الجاهلي ، وقد توزعتها منتخبات عامة ودواوين مفردة للشعراء وأخرى للقبائل غير كتب الطبقات والتراجم وكتب التاريخ واللغة . وسنحاول وصف طائفة منها وبيان مقدار الثقة بها . ونبدأ من المنتخبات العامة بالمعلقات ، وقد مر بنا أنها لم تعلق بالكعبة كما زعم بعض المتأخرين ، وإنما سميت بذلك لنفاستها أخذاً من كلمة العلق بمعنى النفيس ، ويقال إن أول من رواها مجموعة في ديوان خاص بها حماد الراوية^(١) ، وهي عنده سبع : لامرئ القيس وزهير وطرفة وليبيد وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعنترة . ونراها عند صاحب الجمهرة سبعة أيضاً ، غير أنه أسقط اثنين من رواية حماد هما الحارث ابن حلزة وعنترة وأثبت مكانهما الأعشى والتابغة ، وربما أضاف حماد الحارث في مقابلة عمرو بن كلثوم التغلبي لأن ولاءه كان في بكر . على أننا لا نمضي في عصر التبريزي حتى نجده يجعلها في شرحه لها عشرًا جامعًا بين الروايتين ومضيفاً قصيدة عبّيد بن الأبرص : (أقفر من أهله ملحوب) .

وقد عني الشراح بهذه المجموعة ، فشرحوها مراراً ، وطُبع من شروحيهم شرح الزوزني المتوفى سنة ٥٤٨٦ . وقد كتبه على رواية حماد ، ثم شرح التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ . وأكبر الظن أن حماداً لم يأخذ حرّيته كاملة في قصائده مجموعته ، فقد كانت على ما يظهر معروفة بين العرب ، على أنه ينبغي مقابلتها على دواوين أصحابها ورواياتها الوثيقة .

والمجموعة الثانية في المنتخبات هي المفضليات ، نسبة إلى جامعها المفضل الضبي راوي الكوفة الثقة ، وقد نشرها ليال بشرح ابن الأنباري ، وهي مائة وست وعشرون قصيدة أضيف إليها أربع قصائد وُجدت في بعض النسخ ، وفي مقدمة الشرح

(١) انظر ترجمة حماد في معجم الأدباء .

سند كامل لها يرفعه ابن الأنباري إلى ابن الأعرابي تلميذ المفضل ورَبِيْبِهِ ، ويقول ابن النديم « هي مائة وثمانية وعشرون قصيدة ، وقد تزيد وتنقص وتنقدم القصائد وتتأخر ، بحسب الرواية عن المفضل ، والصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي (١) ومعنى ذلك أن في أيدينا أوثق نسخة للمفضليات . وتعلّق عبد السلام هرون وأحمد شاكر ناشرها في دار المعارف بنص عن الأخفش يزعم أنها كانت ثمانين ألقاها المفضل على المهدي ، وزاد فيها الأصمعي أربعين ، ثم زاد البقية بعض تلاميذه (٢) ، وربما جاء الأخفش اللبس (٣) من أن الأصمعيات تلتقى معها في تسع عشرة قصيدة ، وأيضاً فقد وجد الرواة يقولون إن أبا جعفر المنصور حين عهد إلى المفضل بتثقيف ابنه المهدي بالشعر القديم اختار له ثمانين قصيدة ، فلما وجدها قد زادت عن الثمانين ووجدها تلتقى مع الأصمعيات في بعض القصائد ظن أن الأصمعي وتلاميذه هم الذين أضافوا فيها هذه الزيادات ، ولو أنه اطلع على رواية ابن الأعرابي خصم الأصمعي لزيله هذا الوهم ، وكأن المفضل اختار أولاً ثمانين ألقاها على المهدي ، ثم زادها إلى مائة وثمان وعشرين كما جاءت في رواية تلميذه ابن الأعرابي .

وهي موزعة على سبعة وستين شاعراً منهم سبعة وأربعون جاهلياً وعلى رأسهم المرقشان الأكبر والأصغر والحارث بن حلزة وعلقمة بن عبدة والشنفرى وبشر بن أبي خازم وتابط شراً وعوف بن عطية وأبو قيس بن الأسلت الأنصاري والمسيب وبينهم امرأة من بني حنيفة ومجهول من اليهود ومسيحيان هما عبد المسيح بن عسلة الشيباني وتتضح مسيحته في اسمه ، ثم جابر بن حنّى التغلبي ، ونراه يقول في مفضليته :

وقد زعمتُ بَهْرَاءُ أن رماحنا رماحُ نصارى لا تخوض إلى الدّم

ولو لم يصلنا من الشعر الجاهلي سوى هذه المجموعة الموثقة لأمكن وصف تقاليده ووصفاً دقيقاً ، فقد مثلت جوانب الحياة الجاهلية ودارت مع الأيام والأحداث

البصري يريد أن يقول إن المفضليات من صنع البصريين والكوفيين جميعاً لما كان لها من شهرة في عصره فاقت شهرة الأصمعيات .

(١) الفهرست ص ١٠٢ .

(٢) ذيل الأمل ص ١٣١ .

(٣) ذهبنا إلى أنه لبس ، وربما كان يعامل التنافس بين البصريين والكوفيين ، فالأخفش

وعلاقات القبائل بعضها ببعض وبملوك الحيرة والغساسنة ، وانطبعت في كثير منها البيئة الجغرافية . وقد جاء فيها غير قليل من الكلمات المندثرة التي لم ترد في المعاجم اللغوية^(١) على كثرة ما أثبتت من الألفاظ المهجورة ، مما يرفع الثقة بها ويؤكد لها . والمجموعة الثالثة من كتب المنتخبات العامة الأصمعية نسبة إلى الأصمعي راويها ، وقد نشرها آلورد (Ahlwardt) عن نسخة سقيمة في برلين سنة ١٩٠٢ وأعاد نشرها عبد السلام هرون وأحمد شاكر عن نسخة للشنقيطي نقلها عن أصل قديم وهي نشرة علمية جيدة ، وقد بلغ عدد قصائدها ومقطوعاتها اثنتين وتسعين ، وهي موزعة على ٧١ شاعراً منهم نحو ٤٠ جاهلياً على رأسهم امرؤ القيس والحارث ابن عباد ودريد بن الصمّة وأبو دؤاد الإيادي وذو الإصبع العُدواني وسلامة بن جندل وطرفة وعروة بن الورد وقيس بن الخطيم ، وبينهم يهوديان هما شعبة بن الغريص والسموأل . وهذه المجموعة كسابقتها في الثقة بها وعلو درجتها ، وقد جاء فيها أيضاً كثير من الكلمات المهجورة التي لم تثبت المعاجم^(٢) ، غير أنها لم تلعب الدور الذي لعبته المفضليات فلم يتعلق بها الشراح ، ولعل ذلك يرجع إلى قلة غريبها بالقياس إلى المفضليات ، وأيضاً فإن الأصمعي لم يَرَوِ كثيراً من القصائد كاملة ، بل اكتفى بمختارات منها .

والمجموعة الرابعة جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، ولا نجد اسمه بين الرواة المشهورين ، غير أنه يتضح من مقدمته لكتابه وما نقله عن الرواة أن بينه وبين رواة القرن الثاني جيلين أو ثلاثة ، فالوسائط بينه وبينهم في السند غير بعيدة ، ولذلك نظن أنه كان يعيش في أواخر القرن الثالث أو أوائل القرن الرابع ، وقد ذكره ابن رشيقي المتوفى سنة ٤٦٣ للهجرة في كتابه العمدة^(٣) كما ذكره السيوطي في المزهري^(٤) والبغدادي في الخزانة^(٥) . والجمهرة تضم تسعاً وأربعين قصيدة طويلة موزعة على سبعة أقسام ، في كل قسم سبع قصائد ، والقسم الأول خاص بالمعلقات ، وقد أخذ فيها برواية أنها سبع ، وأسقط منها معلقتي الحارث وعنزة ووضع مكانهما معلقتي الأعشى والنابغة ، ويلى هذا القسم الجمهرات وهي

(١) انظر الفهرس الثالث الملحق بالمفضليات (٢) العمدة ٦٠/١ .
 (٣) انظر الفهرس الثالث الملحق بالأصمعية .
 (٤) المزهري ٤٨٠/٢ .
 (٥) الخزانة ١٠/١ ، ٦١ ، ٥٥/٢ .

لعبيد بن الأبرص وعدى بن زيد وبشر بن أبي خازم وأمّية بن أبي الصلت وخيداش ابن زهير والنمر بن تولب وعنزة وألحقت قصيدته في النسخة المطبوعة بالمعلقات خطأ. وبلى ذلك المنتقيات أى المختارات ، ثم المذهبات وجميعها لشعراء من الأنصار جاهليين أو مخضرمين ، وربما قصد باسمها أنها تستحق أن تكتب بالذهب ، ثم عيون المراثى ، ثم المشوبات ، وهى لمخضرمين ، شابهم الكفر والإسلام ، ثم الملحقات وجميعها لإسلاميين . وهى مجموعة غنية بالقصائد الطويلة ولكنها غير موثقة الرواية ، فلا بد فى الاعتماد عليها من مقابلتها على روايات صحيحة . وطُبعت الجمهرة مراراً فى بيروت والقاهرة .

ومثل هذه المجموعة فى ضعف سندها مختارات ابن الشجرى المتوفى سنة ٥٤٢ للهجرة ، وهى مختارات من شعر جاهلى وإسلامى ، موزعة على ثلاثة أقسام وأهم من فى القسم الأول الشنفرى وطرفة ولقيط الإيادى والمتلمس ، أما القسم الثانى فمختارات من دواوين زهير وبشر بن أبي خازم وعبيد بن الأبرص ، وأما القسم الثالث فمختارات من ديوان الحطيئة . وطُبعت هذه المجموعة بالقاهرة .

وتدخل فى هذه المختارات دواوين الحماسة ، وقيمتها أدبية أكثر منها تاريخية ، إذ لا يعرفنا أصحابها بمصادرهم وأشهرها ديوان الحماسة لأبى تمام المتوفى حوالى سنة ٢٣١ للهجرة وقد سُرح مراراً ، ومن شروحه المطبوعة شرح المرزوقى وشرح التبريزى وهو يفيض بالإشارات التاريخية . ونص المرزوقى على أن أبا تمام أصلح فى الشعر الذى رواه ، يقول : « إنك تراه ينتهى إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه ، فيسجبر نقيصته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها فى نقده ، وهذا يبين لمن رجع إلى دواوينهم ، فقابل ما فى اختياره بها^(١) » . وحماسته موزعة على عشرة أبواب أكبرها باب الحماسة وبه سماها ، وهى مقطوعات لجاهليين وإسلاميين وعباسيين ، وقلما روى فيها قصائد كاملة . وتلى هذه الحماسة فى الأهمية حماسة البحترى المتوفى سنة ٢٨٤ هـ وهى مقطوعات قصيرة موزعة على مائة وأربعة وسبعين باباً ، وأكثر أبوابها فى نزعات خلقية ، ولم يُعَنَّ القدماء بشرحها . ولا ابن الشجرى صاحب

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقى (طبع
لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٤/١ .

المختارات حماسة طُبعت في حيدر آباد ، وأغلب منتخباتها من الشعر الجاهلي .
 وطُبعت أخيراً حماسة الخالدين أو الأشباه والنظائر للأخوين سعيد الخالدي المتوفى
 سنة ٣٥٠ ومحمد المتوفى سنة ٣٨٠ ولا تزال الحماسة البصرية لعلي بن أبي الفرج
 البصرى المتوفى في القرن السابع غير مطبوعة ، وفي دار الكتب المصرية مخطوطتان منها .
 وإذا تركنا هذه المختارات إلى الدواوين المفردة لقينا منها دواوين الشعراء الستة
 الجاهليين : امرئ القيس والنابغة وزهير وطرفة وعنترة وعلقمة وقد نشرها الوارد ،
 إلا أنه لم يكتب برواية الأصمعي التي احتفظ بها شرح الشنتمري ، بل أضاف
 إليها زيادات هي في الأكثر منحولات ، ولا تزال في حاجة إلى نشر شرح
 الشنتمري المتوفى سنة ٤٧٦ وقد استخراج منه مصطفي السقا شرحه على تلك
 الدواوين والتزم روايته في المجموعة التي سماها باسم مختار الشعر الجاهلي .
 وطُبع ديوان امرئ القيس طبعات مختلفة لعل أهمها الطبعة الأخيرة
 بدار المعارف ، وقد جَمَعَ فيها أبو الفضل إبراهيم رواياته جميعها
 وقارن بينها مقارنات دقيقة . ونشرت دار الكتب المصرية ديوان زهير بشرح ثعلب ،
 غير أن من حققوه لم يقابلوا بين هذه الرواية الكوفية ورواية الأصمعي البصرية التي
 يحتفظ بها الشنتمري في شرحه . وطُبعت دواوين أخرى مثل ديوان النابغة وطرفة
 وليبد وعروة بن الورد وحاتم وعلقمة والشنفري وأوس بن حجر ، إلا أن أكثر هذه
 الدواوين لا يزال في حاجة إلى نشرة علمية جيدة . وقد نشر لايل ديواني عبيد بن
 الأبرص وعامر بن الطفيل ، وهناك دواوين مخطوطة لما تنشر .

أما دواوين القبائل التي جمع منها الشيباني نيفاً وثمانين ، وعُنى السكري بكثير
 منها ، ففقدت في الطريق^(١) ، ولم يبق منها إلا قطع من ديوان هذيل نشرت في
 خمس مجموعات ، أربع منها في أوربا وهي من صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين
 السكري ، طُبعت أولاها في لندن سنة ١٨٥٤ بتحقيق كوزجارتن وطُبعت الثانية
 في برلين سنة ١٨٨٧ بتحقيق فلهاوزن ، وطُبعت الثالثة وهي خاصة بديوان أبي
 ذؤيب في هانوفر سنة ١٩٢٦ بتحقيق يوسف هل ، وفي سنة ١٩٣٣ نُشر القطعة

(١) انظر في تحقيق هذه الدواوين مصادر
 الشعر الجاهلي ص ٥٤٣ وما بعدها .

الرابعة في لبيزج ، وهي تتداخل مع القطعة الخامسة التي نشرتها دار الكتب المصرية ، ويظهر أن هذه القطعة الأخيرة اختلطت فيها نسخة السكرى بنسخة أخرى مختصرة ولذلك كان يقل فيها الشرح وإسناد الرواية . ويعني عبد الستار فراج — بمراجعة محمود شاكر — بتحقيق أشعار الهذليين من صنعة السكرى وقد نشرت منه مكتبة دار العروبة جزءين . ومن الحق أن القطع التي وصلتنا من شرح السكرى غاية في النفاسة لآلأنه يضمها أخباراً وشروحاً فحسب ، بل أيضاً لأنه يقفنا وقوفاً دقيقاً على مصادره ، إذ يذكر دائماً الإسناد في القصيدة وألفاظها وأبياتها مشبهاً ما اختلف فيه الرواة البصريون وعلى رأسهم الأصمعي والكوفيون وعلى رأسهم ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني ومن جاء بعدهم من البغداديين مثل عبد الله بن إبراهيم الجحفي ، ومن بين من ينقل عنهم أبو عبيدة . ومنه نعرف أن الأصمعي كان ينقل عن مصدر من نفس القبيلة هو عمارة بن أبي طرفة الهذلي . وبذلك كانت هذه القطع التي رواها السكرى من ديوان هذيل لا تقل ثقة ولا قيمة تاريخية عن المفضليات والأصمعيات .

ومن الكتب الجيدة التي تشتمل على شعر جاهلي كثير شرح النقائض لأبي عبيدة ، فقد أنشد فيه كثيراً من الشعر الذي قيل في أيام العرب ، وحذا حذوه من كتبوا في أيام العرب مثل ابن الأثير في كامله وابن عبد ربه في عقده . ومن الكتب الجيدة أيضاً طبقات الشعراء لابن سلام ، ومر بنا أنه أودع فيه دراسة دقيقة للشعر الجاهلي صحيحه ومصنوعه . أما كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة فربما كان خير ما فيه مقدمته التي يحاول أن يربط فيها شعراء عصره بالمثل الجاهلية القديمة ، أما بعد ذلك فالكتاب فقير في تراجمه وما يُطوى فيها من أخبار وأشعار غير مستندة إلى روايتها . وهناك كتبُ أدب ألفت في البصرة مثل البيان والتبيين والحيوان للجاحظ والكامل للمبرد ، ومن الخير أن نرد ما بها من شعر إلى روايات بصرية صحيحة ، حتى نكون أكثر طمأنينة ، ويجري مجراها ما في أمالي اليزيدي ومجالس ثعلب من أشعار وينبغي أن نتلقى كتب الأدب البغدادية مثل عيون الأخبار لابن قتيبة بخبر ، ومثلها أمالي أبي علي القالي ففيها انتحال كثير . ومن المختصرات التي تفيد في المراجعة كتاب المؤلف والمختلف للآمدي ومعجم الشعراء للمرزباني وكتابه الموشح نفيس في التعرف على كثير مما

وُضع على الشعراء الجاهليين . وهناك أشعار جاهلية كثيرة في كتب النقد مثل نقد الشعر
 لقدامة والصناعتين لأبي هلال العسكري والوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني
 والعمدة لابن رشيق ، ومثلها مثل الشواهد المبتوثة في كتب اللغة والنحو ينبغي التوثيق
 منها بالرجوع إلى المصادر الأصلية الوثيقة . أما ما جاء في كتب السير والأخبار
 والتاريخ كسيرة ابن هشام وتاريخ الطبري ومغازي الواقدي فينبغي أن نرفضه إلا أن
 تدعمه روايات صحيحة .

وإذا كنا فقدنا كثيراً من الدواوين المفردة ودواوين القبائل وما كان بها من
 أخبار وأشعار فإن كثيراً من ذلك احتفظ به أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني
 الذي ترجم فيه للشعراء من القرن السادس إلى القرن التاسع للميلاد ترجمات غنية ،
 سجل فيها كثيراً من المادة التي فقدت ، وكان له ذوق عالم ناقد بصير ، فساق من
 الكتب التي سبقته أطرف ما فيها من أخبار وأشعار ، ولم يستقمها مفردة ، بل ساقها
 بأسانيد التي ترجع بها إلى مصادرها ورواتها الأوائل مثل الأصمعي وأبي عبيدة
 وابن الأعرابي وأبي عمرو والشيباني والهيثم بن عدى وخالد بن كلثوم وابن الكلبي
 وأضرابهم ، ومن خلفهم من جيلة الرواة والمصنفين ، وإذا تعددت الروايات في
 الخبر ذكرها جميعاً ، وكثيراً ما يقف ليفحص ما ينقله ، فيرفض رواية لأن راويها
 ابن الكلبي أو ابن خرداذبة أو غيرهما من المهمين . وقد يشك في مقطوعة أو قصيدة
 تنسب لشاعر من الشعراء ، فيرجع إلى ديوانه في رواياته المختلفة ، وينص على أنه
 وجدها أو لم يجدها . وقد يعرض الخبر على التاريخ ليتوثق منه . وفي تضاعيف ذلك
 يسوق آراء الرواة والنقاد في الشعراء وشعرهم . والحق أنه أكبر مصدر لتاريخ الشعر
 الجاهلي وأصحابه ، فإذا أضفنا له الأصمعيات والمفضليات وديوان هذيل وما صح
 من الدواوين المفردة كنا أمام مادة خصبة للبحث والدراسة في الجاهليين وأشعارهم
 وأخبارهم .

ومن الكتب المتأخرة التي احتفظت ببعض ما فقد من الروايات والمصنفات
 القديمة خزانة الأدب للبغدادى المتوفى سنة ١٠٩٣ للهجرة ، وهو شرح على شواهد
 الرضى شارح كتاب الكافية لابن الحاجب ، وفيه تراجم دقيقة لبعض الجاهليين
 وملاحظات على بعض أشعارهم من حيث الانتحال والصحة . ومثله في هذا الاتجاه
 شرح السيوطى على شواهد المغنى لابن هشام .